فوائد وفرائد قرآنية

جزء عم (١)

اعداد

محمد بن خالد الخضير

خطيب جامع ابن حجر بالثقبة ومشرف تربوي

Khdair٩٠@yahoo.com

https://twitter.com/khdair٩٠

مقدمه

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه

أَمَّا بَعْدُ:

بين يديكم فوائد قرآنية من بعض الآيات من جزء عم وأصلها دروس رمضانية كنت أقدمها بعد صلاة العصر في مسجد الصفا بالدمام (حي بترومين) في شهر رمضان المبارك من العام الهجري ١٤٣٤هـ، (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)، شهرٌ تضيقُ فيه منافذُ الشياطين، فتصفُو عبادةُ المرءِ لربه، ويلَذُّ الأُنسُ بكتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت: ٤٢]. إنه شهر القرآن الكريم، شهرُ الانكسار والمناجاة، شهرُ التدبُّر والاعتبار والخشية؛ لأن المرءَ بلا قرآن كالحياة بلا ماءٍ ولا هواءٍ، وهو بمثابة الروح للحياة، والنور للهداية. خيرُ جليسٍ لا يُملُّ حديثُه، وتَردادُه يزدادُ به المرءُ تجمُّلاً وبهاءً.

وقد أمرنا الله سبحانه بتدبره وتفهمه: (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) وقال : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)، (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)

أسأل الله أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه ويجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهل وخاصته.

محمد بن خالد الخضير

Khdair٩٠@yahoo.com

https://twitter.com/khdair٩٠

رمضان شهر القرآن

قال تعالى (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ)

ثمة علاقة وطيدة ورباط متين بين القرآن وشهر الصيام ، تلك العلاقة التي يشعر بها كل مسلم في قرارة نفسه مع أول يوم من أيام هذا الشهر الكريم ، فيقبل على كتاب ربه يقرأه بشغف بالغ ، فيتدبر آياته ويتأمل قصصه وأخباره وأحكامه ، وتمتلئ المساجد بالمصلين والتالين ، وتدوي في المآذن آيات الكتاب المبين ، معلنة للكون أن هذا الشهر هو شهر القرآن

ان الصائم القارئ يؤلف في صيامه بين رمضان وبين القرآن الكريم ، فيعيش هذا الشهر مع هذا الكتاب العظيم الذي قال الله فيه ()كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (صّ:٢٩) ()أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤) ()أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً) (النساء:٨٢)

صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (اقرؤوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه" وقال صلى الله عليه وسلم " خيركم من تعلم القرآن وعلمه"

و قال عليه الصلاة و السلام: {من قرأ القرآن فله بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، أما إني لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف}

وقال عليه الصلاة والسلام" الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي قرأ القرآن وهو يتعتع فيه له أجران

أسلافنا إذا قدم رمضان فتحوا المصاحف وحلوا وارتحلوا مع القران الكريم .

بيوت سلفنا كان لها في رمضان خاصة دوي كدوي النحل ، تشع نورا وتملأ سعادة ، كانوا يرتلون القرآن ترتيلا ، يقفون عند عجائبه ويبكون عن عظاته ، ويفرحون ببشارته ويأتمرون بأمره وينتهون بنهيه .

وكان للسلف رحمهم الله اهتمام خاص بالقرآن في هذا الشهر الكريم ، فكانوا يخصصون جزءاً كبيراً من أوقاتهم لقراءته ، وربما تركوا مدارسة العلم من أجل أن يتفرغوا له ، فكان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن كل يوم مرة ، وكانَ◌َ◌ بعضهم يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليال ، وبعضهم في كل سبع ، وبعضهم في كل عشر ، وكانوا يقرؤون القرآن في الصلاة وفي غيرها ، فكان للإمام الشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة ، وكان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان ، وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً وفي رمضان في كل ثلاث ، وفي العشر الأواخر في كل ليلة ، وكان الإمام مالك إذا دخل رمضان يترك قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على قراءة القرآن من المصحف ، وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن

صح ان ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسولنا صلى الله عليه وسلم أول سورة النساء فلما بلغ قوله تعالى ()فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً) (النساء:٤١) قال له عليه الصلاة والسلام " حسبك الآن " قال . فنظرت فإذا عيناه تذرفان

وقال أحد الصحابة: ((أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ)) يَعْنِي يَبْكِي. رواه النسائي.

قال عبد الله بن مسعود ((لا تنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذّ الشعر ، قفو عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة))

إن بركة القرآن ومواعظه تُدركُ بالتفهم والتدبر، وليس بالهذ والاستعجال

سبب اختيار جزء عم :

لأنه يقرأ كثيراً في الصلوات، فيحسن أن يعرف معاني هذا الجزء،

والقرآن أنزل لأمور ثلاثة: الأمر الأول: **التعبد لله بتلاوته**. والثاني: **التدبر لمعانيه**. والثالث: **الاتعاظ به**. قال الله تبارك وتعالى: {كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُواْ ءَايَـٰتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الأَلْبَـٰبِ }. ولا يمكن لأحد أن يتذكر بالقرآن إلا إذا عرف المعنى؛ لأن الذي لا يعرف المعنى بمنزلة الذي لا يقرأ، كما قال الله تعالى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَـٰبَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَـٰبَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ } أي: إلا قراءة، لهذا ينبغي للمسلم أن يحرص على معرفة معنى القرآن الكريم حتى ينتفع به، وحتى يكون متبعاً لآثار السلف، فإنهم كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل

خصائص جزء عم :

ومعظم سوره مكية،نزلت قبل الهجر ة،ففيها إثبات يوم القيامة،والرد على

منكريه،وبيان مصارع من وقف في وجه دعوة الحق،وتسلية للنبي و لأصحابه حيث لاقوا من المشركين الأذى الشديد،فكانت آيات القرآن الكريم كالبلسم الشافي

لآلامهم ومواجعهم،حتى يثبتوا للنهاية .

السور المكية تركز على ثلاثة امور :

١- اثبات يون القيامة و الرد على منكريه .

٢- بيان ان القرآن كلام الله .

٣- اثبات نبوة النبي محمد عليه الصلاة و السلام .

ما اشتملت عليه السورة :

سورة عم مكية وتسمى [سورة النبأ] لأن فيها الخبر الهام عن القيامة والبعث والنشور ،

ومحور السورة يدور حول إثبات عقيدة البعث " التى طالما انكرها المشركون ، وكذبوا بوقوعها، وزعموا أن لا بعث ، ولا جزاء ولا حساب ! ! .

* ابتدات السورة الكريمة بالإخبار عن موضوع القيامة ، والبعث والجزاء ، هذا الموضوع الذي شغل أذهان الكثيرين من كفار مكة ، حتى صاروا فيه ما بين مصدق ومكذب [عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم . .] الايات .

* ثم أقامت الدلائل والبراهين على قدرة رب العالمين ، فان الذي يقدر على خلق العجائب

والبدائع ، لا يعجزه إعادة خلق الإنسان بعد فنائه [الم نجعل الأرض مهادا ، والجبال اوتادا ،وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا] الايات .

* ثم اعقبت ذلك بذكر البعث ، وحددت وقته وميعاده ، وهو يوم الفصل بين العباد ، حيث يجمع الله الأولين والاخرين للحساب [إن يوم الفصل كان ميقاتا ، يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا.] الايات .

* ثم تحدثت عن جهنم التي اعدها الله للكافرين ، وما فيها من الوان العذاب المهين [ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها احقابا] الايات .وبعد الحديث عن الكافرين، تحدثت عن المتقين ، وما اعد الله تعالى لهم من ضروب النعيم، على طريقة القران في الجمع بين الترهيب والترغيب [إن للمتقين مفازا ، حدائق وأعنابا ،وكواعب أترابا ، وكأسا دهاقا] الايات .

* وختمت السورة الكريمة بالحديث عن هول يوم القيامة ، حيث يتمنى الكافر أن يكون ترابا فلايحشر ولا يحاسب [إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا. ليتني كنت ترابا]

.

(عم يتساءلون (١) عن النبإ العظيم (٢) الذي هم فيه مختلفون (٣) كلا سيعلمون (٤) ثم كلا سيعلمون (٥) ألم نجعل الأرض مهادا (٦) والجبال أوتادا (٧) وخلقناكم أزواجا (٨) وجعلنا نومكم سباتا (٩) وجعلنا الليل لباسا (١٠) وجعلنا النهار معاشا (١١) وبنينا فوقكم سبعا شدادا (١٢) وجعلنا سراجا وهاجا (١٣) وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا (١٤) لنخرج به حبا ونباتا (١٥) وجنات ألفافا (١٦))

{عم يتساءلون} يعني عم يتساءل هؤلاء، ثم أجاب الله عز وجل عن هذا السؤال فقال: **{عن النبأ العظيم. الذي هم فيه مختلفون}** وهذا النبأ هو ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من البينات والهدى، ولاسيما ما جاء به من الأخبار عن اليوم الاخر والبعث والجزاء، وقد اختلف الناس في هذا النبأ الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فمنهم من آمن به وصدق، ومنهم من كفر به وكذب، فبين الله أن هؤلاء الذين كذبوا سيعلمون ما كذبوا به علم اليقين، وذلك إذا رأوا يوم القيامة يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق، ولهذا قال سبحانه هنا: **{كلا سيعلمون. ثم كلا سيعلمون}** والجملة الثانية توكيدٌ للأولى

فوائد :

١- البداءة المشوقة من أول آية بطرح سؤال عظيم ثم بيان هذا السؤال، وهذا يُسمى في البلاغة براعة الاستهلال.

٢- ووصفه الله –جل وعلا– هنا بأنه يوم عظيم؛ لشدة هوله ومطلعه؛ ولعظم ما يقع فيه من الأحداث التي هي من أمور الغيب، والتي ذكر الله –جل وعلا– أنه يشيب منها الولدان.

وقد جاء وصف هذا اليوم بأنه يوم عظيم في قول الله –جل وعلا–: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

٣- والمشركون كانوا يتساءلون عن هذا اليوم، ليسوا يتساءلون ليستعدوا له، وإنما كانوا يتساءلون تساؤل المنكر له المستبعد لوقوعه وقد بين الله–جل وعلا– تساؤلهم هذا في آيات كثيرة، كما قال الله –جل وعلا– في الإسراء: ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾٤ وفي سورة النمل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .
وفي سورة السجدة: ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

وفي سورة يس: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧ وفي أوائل سورة ق: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾

فدلت هذه الآيات على أنهم كانوا يتساءلون عن يوم البعث والنشور استبعادا له واستهزاء

٤- فقوله –جل وعلا– في هذه الآية: ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ هذا هو الذي فصله الله –جل وعلا– في آيات أخرى وبينه، وهي أن مردهم إلى النار، وأنهم يعذبون فيها جزاء على تكذيبهم بالبعث بعد الموت.

٥- ومن هذه الآية يُستدل على أن العبد المؤمن لا يكون مؤمنا إلا إذا أيقن يقينا جازما لا شك فيه أن الله –جل وعلا– يبعث الخلق ويجازيهم، وهذا من أركان الإيمان، كما في حديث جبريل –عليه السلام– لما سأل النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الإيمان، قال: « أن تؤمن بالله

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره »٣٥ وفي رواية: « وأن تؤمن بالبعث بعد الموت »٣٦ وفي رواية: « وأن تؤمن بلقاء الله »٣٧ .

والله -جل وعلا- جعل الإيمان بالبعث من صفات المؤمنين المفلحين في أوائل سورة البقرة ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾٣٨ فمن لم يؤمن بالآخرة فليس بمؤمن، وليس على هدى، بل هو في ضلال، وليس من المفلحين، بل هو من الأشقياء الخاسرين.

﴿ألم نجعل الأرض مهادا ﴿ ٦ ﴾ والجبال أوتادا ﴿ ٧ ﴾ وخلقناكم أزواجا ﴿ ٨ ﴾ وجعلنا نومكم سباتا ﴿ ٩ ﴾ وجعلنا الليل لباسا ﴿ ١٠ ﴾ وجعلنا النهار معاشا ﴿ ١١ ﴾ وبنينا فوقكم سبعا شدادا ﴿ ١٢ ﴾ وجعلنا سراجا وهاجا ﴿ ١٣ ﴾ وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ﴿ ١٤ ﴾ لنخرج به حبا ونباتا ﴿ ١٥ ﴾ وجنات ألفافا ﴿ ١٦ ﴾﴾

لما بين الله –جل وعلا– حال الكفار في موقفهم من يوم البعث والنشور وأنهم فريقان: فريق ينكرون البعث إنكارا جازما، وفريق يشكون في البعث، بيّن الله –جل وعلا– فيما يأتي من الآيات الدلائل الدالة على قدرته –جل وعلا– على إحياء الموتى، وهذه الدلائل هي دلائل مشاهدة، تُرى بالأبصار، ولا يستطيع أحد أن ينكرها؛

{ألم نجعل الأرض مهاداً} أي جعل الله الأرض مهاداً ممهدة للخلق ليست بالصلبة التي لا يستطيعون حرثها، ولا المشي عليها إلا بصعوبة، وليست باللينة الرخوة التي لا ينتفعون بها، ولا يستقرون فيها، ولكنها ممهدة لهم على حسب مصالحهم وعلى حسب ما ينتفعون به.

{والجبال أوتاداً} أي جعلها الله تعالى أوتاداً للأرض بمنزلة الوتد للخيمة حيث يثبتها فتثبت به، وهي أيضاً ثابتة كما قال تعالى: {وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها} [فصلت: ١٠]. وهذه الأوتاد قال علماء الأرض: إن هذه الجبال لها جذور راسخة في الأرض كما يرسخ جذر الوتد بالجدار، أو وتد الخيمة في الأرض ولذلك تجدها صلبة قوية لا تزعزعها الرياح وهذا من تمام قدرته ونعمته.

{وخلقناكم أزواجاً} أي أصنافاً ما بين ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وأسود وأحمر، وشقي وسعيد إلى غير ذلك مما يختلف الناس فيه، فهم أزواج مختلفون على حسب ما أراده الله عز وجل واقتضته حكمته ليعتبر الناس بقدرة الله تعالى، وأنه قادر على أن يجعل هذا البشر الذين خلقوا من مادة واحدة ومن أب واحد على هذه الأصناف المتنوعة المتباينة.

{وجعلنا نومكم سباتاً} أي قاطعاً للتعب، فالنوم يقطع ما سبقه من التعب، ويستجد به الإنسان نشاطاً للمستقبل، ولذلك تجد الرجل إذا تعب ثم نام استراح وتجدد نشاطه، وهذا من النعمة وهو أيضاً من آيات الله كما قال الله تعالى: {ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله}. [الروم: ٢٣]. {وجعلنا الليل لباساً} أي جعل الله هذا الليل على الأرض بمنزلة اللباس كأن الأرض تلبسه ويكون جلباباً لها،

{ وجعلنا النهار معاشاً} أي معاشاً يعيش الناس فيه في طلب الرزق على حسب درجاتهم وعلى حسب أحوالهم، وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالى على العباد. **{وبنينا فوقكم سبعاً شداداً}** وهي السماوات السبع، وصفها الله تعالى بالشداد لأنها قوية

{وجعلنا سراجاً وهَّاجاً} يعني بذلك الشمس فهي سراج مضيء، وهي أيضاً ذات حرارة عظيمة. **{وهاجاً}** أي وقَّادة، وحرارتها في أيام الصيف حرارة شديدة مع بعدها الساحق عن الأرض، فما ظنك بما يقرب منها، ثم إنها تكون في أيام الحر في شدة حرها من فيح جهنم، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة، فإن شدة الحر من فيح جهنم». وقال عليه الصلاة والسلام: «اشتكت النار إلى الله فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم، وأشد ما يكون من الحر من فيح جهنم». ومع ذلك فإن فيها مصلحة عظيمة للخلق فهي توفر على الخلق أموالاً عظيمة في وقت النهار حيث يستغني الناس بها عن إيقاد الأنوار، وكذلك الطاقة التي تستخرج منها تكون فيها فوائد كثيرة، وكذلك إنضاج الثمار وغير هذا من الفوائد العديدة من هذا السراج الذي جعله الله عز وجل لعباده.

ولما ذكر السراج الوهاج الذي به الحرارة واليبوسة ذكر ما يقابل ذلك فقال: **{وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجَّاجاً}** والماء فيه رطوبة وفيه برودة، وهذا الماء أيضاً تنبت به الأرض وتحيا به، فإذا انضاف ماء السماء إلى حرارة الشمس حصل في هذا إنضاج للثمار ونمو لها على أكمل ما يكون. {وأنزلنا من المعصرات}

يعني من السحاب، **ووصفها الله بأنها معصرات كأنما تعصر هذا المطر عند نزوله عصراً، كما يعصر الثوب، فإن هذا الماء يتخلل هذا السحاب** ويخرج منه كما يخرج الماء من الثوب المعصور،

وقوله: { **ماء ثجّاجاً** } أي كثير الثج يعني الانهمار والتدفق وذلك لغزارته وقوته حتى يروي الأرض . {**لنخرج به**} أي لنخرج بهذا الماء الذي أنزل من السماء إلى الأرض { **حبًّا ونباتاً** } فتنبت الأرض ويخرج الله به من الحب بجميع أصنافه وأنواعه البر والشعير والذرة وغيرها. والنبات من الثمار كالتين والعنب وما أشبه ذلك { **وجنات ألفافا** } أي بساتين ملتفاً بعضها إلى بعض، من كثرتها وحسنها وبهائها حتى إنها لتستر من فيها لكثرتها، والتفاف بعضها إلى بعض، وهي الأشجار التي لها ساق، فيخرج من هذا الماء الثجاج الزروع والنخيل والأعناب وغيرها

فوائد :

١-أدلة البعث التي يستدل بها الله في كتابه على البعث تدور على أربعة أشياء، وتتكرر في سور القرآن بأساليب متنوعة، خلق الأرض والسماوات ، وإحياء الأرض بالنبات ، ونشأة الإنسان من العدم ، وإحياء الموتى بالفعل في الدنيا لمعاينتها . وكلها موجودة هنا .

٢- القرآن المكي يعالج قضية اليوم الآخر، ويظهر الدلائل الواضحات للمكذبين للنظر فيما حولهم ليستدلوا به على حقيقة اليوم الآخر والبعث والنشور.

٣- جميع ما في الكون من أرض وسماوات وجبال وليل ونهار ونجوم وكواكب، كلها تدل على وجود الله تعالى وأنه لا يستحق العبادة إلا هو سبحانه.

٤- رحمة الله تعالى بعباده، حيث جعل الأرض ممهدة فلا تميد ولا تضطرب، وجعل فيها من أصناف المطعومات والمشروبات لتجري الحياة عليها بدون عناء ولا كُلفة.

٥- امتنان الله تعالى على عبادة بنعمة النكاح، فهي من أجل النعم التي تستحق الشكر والثناء، وأودع تبارك وتعالى في البشر الغرائز لإعمار الأرض والاستخلاف فيها.

٦- لابد للإنسان من وقت الاستجمام والراحة بعد العناء والتعب، لذا على المؤمن أن ينوي بنومه إراحة جسده ليتقوى على طاعة الله وعبادته.

٧- عظم نعمة البصر، فلو أن المرء كان ضريراً لن يرَ النور، ولن يشعر بالفرق بين الليل والنهار، فالحمد لله على نِعمه الوافرة الغزيرة.

٨- الشقي هو من يرى هذه المخلوقات الدالة على وجود خالق عظيم، ويرى الكواكب والنجوم والشمس والقمر، ويرى ما تنبته الأرض بعد إنزال الغيث واهتزاز الأرض وإنباتها ثم لا يؤمن بالله.

٩- على المسلم الحصيف أن يتزود بنعم الله تعالى ويتمتع بها وفق ما أمر الله، فلا يتعدى حدوده، ولا يستعمل هذه النعم في مبارزة الله تعالى بعصيانه.

١٠- النوم من أعظم الآيات الدالة على إحياء الموتى، فصفة البعث يوم القيامة ... أو يبعث الناس يوم القيامة هكذا، هم ميتون ثم يستيقظون،

١١-في النوم من الفوائد والنعم على هذه الأمة الشيء الكثير، فهذا النوم قد جعله الله -جل وعلا- راحة للأبدان، وجعله -جل وعلا- تذكرة للعباد؛ ليتذكروا موتهم وبعثهم إلى الله -جل وعلا.

ولهذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما ثبت عنه في سنته -عليه الصلاة والسلام- أنه كان إذا أراد أن ينام قال: « اللهم باسمك أموت وبك أحيا »ويقول: « باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »

فوائد :

١-أدلة البعث التي يستدل بها الله في كتابه على البعث تدور على أربعة أشياء، وتتكرر في سور القرآن بأساليب متنوعة :

خلق الأرض والسماوات ، أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس، كما قال تعالى: لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ [غافر:٥٧]، فالذي خلق الأكبر قادر على خلق الأصغر، إ

وإحياء الأرض بالنبات ، فالذي أحيا الأرض بعد موتها سيحيي الموتى أيضاً،

ونشأة الإنسان من العدم ، وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ [يس:٧٨-٧٩]، إلى

وإحياء الموتى بالفعل في الدنيا لمعاينتها . كقول إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيما حكى الله عنه: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة:٢٦٠]،

وقال تعالى: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ [البقرة:٢٥٩].

وفي سورة عمَّ شيء مشابه لهذا، ألا وهو: وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا [النبأ:٩]، فالنوم موت كما قال الله: اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى [الزمر:٤٢]، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور)

٢- القرآن المكي يعالج قضية اليوم الآخر، ويظهر الدلائل الواضحات للمكذبين للنظر فيما حولهم ليستدلوا به على حقيقة اليوم الآخر والبعث والنشور.

٣- الكون ككتابٌ مفتوحٌ يُقرأُ بكُلِ لُغَةٍ، ويُدرَكُ بكلِ وسيلةٍ، يفهمهُ الأمي والمتَعلم والجاهلُ والعا لمُ . جميع ما في الكون من أرض وسماوات وجبال وليل ونهار ونجوم وكواكب، كلها تدل على وجود الله تعالى وأنه لا يستحق العبادة إلا هو سبحانه.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان ليلة من الليالي قال : يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي ، قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي قالت : فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ، ثم قرأ : \"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) سورة آل عمران .صححه الألباني في \"السلسلة الصحيحة\" ١ / ١٠٦ .

فوا عجبا كيف يعصي الإله * * * أم كيف يجحده جاحدُ

لله في كل تحريكة * * * وتسكينة أبدا شاهدُ

وفي كل شيء له آية * * * تدل على أنه واحدُ

وقال آخر :

تَأَمَّلْ في رِيَاضِ الرّوضِ وانظر * * * إلَى آثارِ مَا صَنَعَ المِليكُ

عُيُونٍ مِنْ لجينٍ شاخصاتٍ * * * بأحداقٍ كما الذَّهَب السَّبيك

عَلَى قَضِيبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِداتٍ * * * بأَنَّ اللهَ ليسَ لَهُ شَرِيك

سئل أعرابي عن الدليل فقال : البعرة تدل على البعير . والروث على الحمير ، وآثار الأقدام على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج . وبحار ذات أمواج ، أما تدل على الصانع الحليم العليم القدير؟

٤- رحمة الله تعالى بعباده، حيث جعل الأرض ممهدة فلا تميد ولا تضطرب، وجعل فيها من أصناف المطعومات والمشروبات لتجري الحياة عليها بدون عناء ولا كُلفة.

٥- امتنان الله تعالى على عبادة بنعمة النكاح، فهي من أجل النعم التي تستحق الشكر والثناء، وأودع تبارك وتعالى في البشر الغرائز لإعمار الأرض والاستخلاف فيها.

٦- لابد للإنسان من وقت الاستجمام والراحة بعد العناء والتعب، لذا على المؤمن أن ينوي بنومه إراحة جسده ليتقوى على طاعة الله وعبادته.

٧- عظم نعمة البصر، فلو أن المرء كان ضريراً لن يرَ النور، ولن يشعر بالفرق بين الليل والنهار، فالحمد لله على نِعمه الوافرة الغزيرة.

٨- الشقي هو من يرى هذه المخلوقات الدالة على وجود خالق عظيم، ويرى الكواكب والنجوم والشمس والقمر، ويرى ما تنبته الأرض بعد إنزال الغيث واهتزاز الأرض وإنباتها ثم لا يؤمن بالله.

٩- على المسلم الحصيف أن يتزود بنعم الله تعالى ويتمتع بها وفق ما أمر الله، فلا يتعدى حدوده، ولا يستعمل هذه النعم في مبارزة الله تعالى بعصيانه.

١٠- النوم من أعظم الآيات الدالة على إحياء الموتى، فصفة البعث يوم القيامة ... أو يبعث الناس يوم القيامة هكذا، هم ميتون ثم يستيقظون،

١١–في النوم من الفوائد والنعم على هذه الأمة الشيء الكثير، فهذا النوم قد جعله الله –جل وعلا– راحة للأبدان، وجعله –جل وعلا– تذكرة للعباد؛ ليتذكروا موتهم وبعثهم إلى الله –جل وعلا.

ولهذا كان النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما ثبت عنه في سنته –عليه الصلاة والسلام– أنه كان إذا أراد أن ينام قال: « اللهم باسمك أموت وبك أحيا »ويقول: « باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »

١٢– الوهاج يجمع بين الشيئين، يجمع الحرارة و الإضاءة؛ ولهذا يقال: وهج النار، يجمع بين الحر والإضاءة، والشمس تجمع بينهما و لقد فرق العزيز الحكيم بين أشعة الشمس و القمر فقال سبحانه (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا) الشمس سراج وهاج ،مضيء بذاته ، وأما القمر فمنير بضياء القمر ، والمرتد من سطحه

١٣– كل جبلٍ في عُمقه في الأرض مثل ما فوق الأرض، يعني ثلثا الجبل في أسفل الأرض، والثلث الآخر هو البادي.

وهكذا الوتد، نحن الآن عندما نضرب الوتد، هل نجعل طرفه القليل في الأرض، أو أكثر الوتد نجعله في الأرض، أكثر الوتد نجعله غائصا في الأرض، ونجعل الجزء الأعلى الثلث فأقل هو الخارج، حتى نربط به الحبل، وهذا الأمر لا يعرفه الناس من قبل، إنما عرفوه الآن،

({إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠))

[إن يوم الفصل كان ميقاتاً] وهو يوم القيامة، وسمي يوم فصل لأن الله يفصل فيه بين العباد فيما شجر بينهم، وفيما كانوا يختلفون فيه، فيفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وأهل الكفر وأهل الإيمان، ، ويفصل فيه أيضاً بين أهل الجنة والنار، فريق في الجنة وفريق في السعير.

إن يوم الفصل هو يوم القضاء والحكم بين الناس، وهو ميعادهم الذي يحضرون فيه أجمعين، قال – تعالى –: ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الدخان: ٤٠].

يومٌ يُفصَل فيه في الدماء، قال – صلى الله عليه وسلم –: ((أول ما يُقضَى بين الناس في الدماء))؛ متفق عليه.

ويُفصَل فيه في الأعراض التي اتُّخذت غرضًا؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((أتدرون ما المفلس؟))، قالوا: المفلس فينا مَن ليس له درهم ولا متاع، فقال: ((إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكَل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا؛ فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيت حسناته قبل أن يُقضَى ما عليه، أُخِذ من خطاياهم، فطُرِحت عليه، ثم طُرِح في النار))؛ متفق عليه.

ويُفصَل – في يوم الفصل – في كل صغيرة وكبيرة، حتى إنه لَيفصلُ بين الحيوانات، فيأخذ الحيوان الذي اعتُدِي عليه حقَّه من المعتدي؛ فعن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ((لتؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقَاد للشاة الجَلْحَاء من الشاة القَرْنَاء))؛ متفق عليه.

{كان ميقاتاً} يعني ميقاتاً للجزاء موقوتاً لأجل معدود كما قال تعالى: {وما نؤخره إلا لأجل معدود} [هود: ١٠٤]. وما ظنك بشيء له أجل معدود وأنت ترى الأجل كيف يذهب سريعاً يوماً بعد يوم حتى ينتهي الإنسان إلى آخر مرحلة، فكذلك الدنيا كلها تسير يوماً بعد يوم حتى تنتهي إلى آخر مرحلة، ولهذا قال تعالى: {وما نؤخره إلا لأجل معدود} كل شيء معدود فإنه ينتهي

{يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً} والنافخ الموكل فيها إسرافيل، ينفخ فيها نفختين: الأولى: يفزع الناس ثم يصعقون فيموتون، والثانية: يبعثون من قبورهم و تعود إليهم أرواحهم، ولهذا قال هنا: {يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً}

{وفتحت السماء فكانت أبواباً} فتحت وانفرجت فتكون أبواباً يشاهدها الناس بعد أن كانت سقفاً محفوظاً تكون في ذلك اليوم أبواباً مفتوحة، وفي هذا دليل على كمال قدرة الله عز وجل أن هذه السبع الشداد يجعلها الله تعالى يوم القيامة كأن لم تكن، فيوم القيامة تفتح وتشقق، كما قال تعالى: وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ [الفرقان:٢٥]، وينزل الملائكة الذين كانوا فيها وفوقها وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلًا

{وسيرت الجبال فكانت سراباً} كقوله : (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وكقوله : (وتكون الجبال كالعهن المنفوش)

وقال هاهنا : (فكانت سرابا) أي : يخيل إلى الناظر أنها شيء ، وليست بشيء ، بعد هذا تذهب بالكلية ، فلا عين ولا أثر ، كما قال : (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) [طه : ١٠٥ - ١٠٧] وقال : (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) [الكهف : ٤٧] .

فوائد :

١– إثبات النفخ في الصور، الصور: قرن ينفخ فيه، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (الصور: قرن ينفخ فيه)وهذه النفخة المذكورة في هذه السورة هي النفخة الثانية.

٢– في الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنْه – أنَّ النَّبيَّ – صلَّى الله عليْه وسلَّم – قال: ((ما بين النفختَين أربعون))، قال: أربعون يومًا؟ قال: "أبيتُ"، قال: أربعون شهرًا؟ قال: "أبيتُ"، قال: أربعون سنة؟ قال: "أبيتُ"، قال: ((ثمَّ يُنْزل الله من السَّماء ماء، فيَنبُتون كما ينبت البقل، ليْس من الإنسان شيء إلاَّ يبلى، إلاَّ عظمًا واحدًا وهو عَجْب الذَّنَب، ومنه يُركَّب الخلق يوم القيامة))

قال النووي : ومعنى قول أبي هريرة (أبيت) أي أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوماً أو سنة أو شهراً بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة . اهـ .

٣– الواجب على المسلم أن يستعد لهذه اللحظات الحاسمة بالمبادرة للأعمال الصالحة ، والمسارعة في الخيرات ، والبعد عن الأمور المنكرة ، و مجانبة السيئات . وإذا كان أخشى الخلق لله وأتقاهم له يقول : "كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ .. "أخرجه الترمذي وغيره وصححه الألباني فكيف بحالنا نحن المقصرين الضعفاء

٤– قيام جميع الخلق للقضاء وللحساب ولمجازاتهم على ما عملوه من أعمال.

٥– ما يكون في ذلك اليوم العظيم من تشقق السماء وانفطارها وتناثر الكواكب وخروج الناس من الأجداث سراعاً ونسف الجبال، كل هذا يلقي في القلب مهابة وخشية من ذلك اليوم العصيب.

٦– حين تكون هناك مظلمة أو جدال حول مسألة لتهدأ مع شفقتك على نفسك وعلى صاحبك من هذا اليوم

{ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا (٣٠) }.

[إن جهنم كانت مرصاداً} أي : مرصدة معدة وجهنم أسم من أسماء كثيرة وسميت بهذا الاسم لأنها ذات جهمة وظلمة بسوادها وقعرها أعاذنا الله وإياكم منها

فمن العلماء من قال: ترصد أهلها إذا مروا عليها، فتأخذهم بكلابيب وحسك على الصراط كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن المرور على الصراط. قال أبو سعيد الخدرى فى صحيح مسلم: ((الصراط جسر أدق من الشعر وأحد من السيف يضربه الله جل وعلا على ظهر جهنم ليمر عليه المؤمنون إلى جنات النعيم والمشركون إلى جهنم وبئس المصير، فهو قنطرة بين الجنة والنار)).

قال تعالى: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا [مريم: ٧١].

فى صحيح مسلم من حديث عائشة قالت: يارسول الله أين يكون الناس حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار؟ فقال المصطفى ((يا عائشة هم فى الظلمة دون الجسر)) وفى لفظ مسلم ((هم على الصراط)) قال ابن مسعود- كما فى مسند أحمد ورواه الحاكم وابن حبان وابن أبي حاتم وصححه الألبانى-: ((فمنهم من يكون نوره كالجبل، ومنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يكون نوره كالرجل القائم، ومنهم من يكون نوره على إبهامه يتقد مرة وينطفأ مرة وهذا أقلهم نوراً، ومنهم من تحوطه الظلمة من كل ناحية))

وقال تعالى: يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [الحديد: ١٢].

ومنهم من قال: كَانَتْ مِرْصَادًا ، أي: كانت مرتقبة، يعني: منتظرة أهلها الآن. فهي موجودة كما قال تعالى : {واتقوا النار التي أعدت للكافرين } [البقرة : ٢٤] حين عرضت على النبي صلى الله عليه و سلم وهو يصلي صلاة الكسوف. ورأى فيها امرأة تعذَّب في قطة لها حبستها لا هي أطعمتها ولا أرسلتها تأكل من خشاش الأرض ؛ ورأى فيها عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار يعني أمعائه لأنه كان أول من أدخل الشرك على العرب؛

((أُريت الجنة والنار فلم أرى كاليوم في الخير والشر، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله)).

{للطاغين مآبا } والطاغون جمع طاغ وهو الذي تجاوز الحد

وتجاوز الحد يكون في حقوق الله ويكون في حقوق العباد ، أما في حقوق الله ــ عز وجل ــ فإنه التفريط في الواجب أو التعدي في المحرم ، وأما الطغيان في حقوق الآدميين فهو العدوان عليهم في أموالهم ودمائهم وأعراضهم . وهذه الثلاثة التي حرمها رسول الله صلى الله و آله وسلم ، وأعلن تحريمها في حجة الوداع في أكثر من موضع فقال: ((إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام)) .

{لابثين فيها أحقابا } أي باقين فيها ، {أحقابا } أي مدداً طويلة ؛ وقد دل القرآن الكريم على أن هذه المدد لا نهاية لها وأنها مدد أبدية

{لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً} نفى الله سبحانه وتعالى عنهم البرد الذي تبرد به ظواهر أبدانهم، والشراب الذي تبرد به أجوافهم. ذلك لأنهم والعياذ بالله إذا عطشوا واستغاثوا كانوا كما قال الله تعالى:{ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً } [الكهف : ٢٩

]. وهل الماء الذي كالمهل وإذا قرب من الوجه شوى الوجه هل ينتفع به صاحبه ؟ الجواب استمع قول اله تعالى : { وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم } [محمد : ١٥]. أما في ظاهر الجسم فقد قال الله تعالى : { خذوه فاعتلوه في سواء الجحيم . ثم في صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم } [الدخان : ٤٧ – ٤٨]. وقال تعالى : { يصب من فوق رؤوسهم الحميم . يُصهر به ما في بطونهم والجلود} [الحج : ١٩ – ٢٠]. ما في بطونهم الأمعاء وهي باطن الجسم ، فمن كان كذلك فإنهم لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً يطفئ حرارة بطونهم ومن تدبر ما في القران والسُّنة من الوعيد الشديد لأهل النار فإنه كما قال السلف : (عَجِبت للنار كيف ينام هاربها ، وعجبت للجنة كيف ينام طالبها) .

{إلا حميماً وغساقاً} الغساق هو شراب منتن الرائحة شديد البرودة، فيجمع لهم . والعياذ بالله . بين الماء الحار الشديد الحرارة، والماء البارد الشديد البرودة ليذوقوا العذاب من الناحيتين: من ناحية الحرارة، ومن ناحية البرودة، بل إن بعض أهل التفسير قالوا: إن المراد بالغساق صديد أهل النار، وما يخرج من أجوافهم من النتن والعرق وغير ذلك. وعلى كل حال فالآية الكريمة تدل على أنهم لا يذوقون إلا هذا الشراب الذي يقطع أمعاءهم من حرارته، ويفطّر أكبادهم من برودته، نسأل الله العافية. وإذا اجتمعت هذه الأنواع من العذاب كان ذلك زيادة في مضاعفة العذاب عليهم. **{جزاء وفاقاً}** أي يجزون بذلك جزاء موافقاً لأعمالهم من غير أن يظلموا، قال الله تبارك وتعالى: {إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون} [يونس: ٤٤]. فهذا الجزاء موافق مطابق لأعمالهم. ثم بين وجه الموافقة ، موافقة هذا العذاب للأعمال فقال: **{إنهم كانوا لا يرجون حساباً. وكذبوا بآياتنا كِذَّاباً}** فذكر انحرافهم في العقيدة وانحرافهم في القول، {إنهم كانوا لا يرجون حساباً} أي لا يؤملون أن يحاسبوا بل ينكرون الحساب، ينكرون البعث يقولون: {ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر} فلا يرجون حساباً يحاسبون به لأنهم ينكرون ذلك، هذه عقيدة قلوبهم، أما ألسنتهم فيكذبون يقولون هذا كذب، هذا سحر، هذا جنون، وما أشبه ذلك كما جاء في كتاب الله ما يصف به هؤلاء المكذبون

رسل الله، كما قال عز وجل: {كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون} [الذاريات: ٥٢].

{وكل شيء أحصيناه كتاباً} {كل شيء} يشمل ما يفعله الله عز وجل من الخلق والتدبير في الكون، ويشمل ما يعمله العباد من أقوال وأفعال، ويشمل كل صغير وكبير {أحصيناه} أي ضبطناه بالإحصاء الدقيق الذي لا يختلف. {كتاباً} يعني كتباً، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله تعالى كتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة، ومن جملة ذلك أعمال بني آدم فإنها مكتوبة، بل كل قول يكتب، قال الله تعالى: {ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد} [ق: ١٨]. رقيب يعني مراقب، والعتيد يعني الحاضر. ودخل رجل على الإمام أحمد رحمه الله وهو مريض يئن من مرضه فقال له: يا أبا عبدالله إن طاووساً وهو أحد التابعين المشهورين يقول: إن أنين المريض يكتب، فتوقف رحمه الله عن الأنين خوفاً من أن يكتب عليه أنين مرضه. فكيف بأقوال لا حدّ لها ولا ممسك لها، ألفاظ تترى طوال الليل والنهار ولا يحسب لها الحساب، فكل شيء يكتب حتى الهم يكتب إما لك وإما عليك، من همّ بالسيئة فلم يعملها عاجزاً عنها فإنها تكتب عليه، وإن هم بها وتركها لله فإنها تكتب له، فلا يضيع شيء كل شيء أحصيناه كتاباً.

{فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً} هذا الأمر للإهانة والتوبيخ، يعني يقال لأهل النار: ذوقوا العذاب إهانة وتوبيخاً فلن نرفعه عنكم ولن نخففه عنكم ، بل ولا نبقيكم على ما أنتم عليه لا نزيدكم إلا عذاباً في قوته ومدته ونوعه، وفي آية أخرى أنهم يقولون لخزنة جهنم: {ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب} [غافر: ٤٩]. تأمل هذه الكلمة من عدة أوجه:

أولاً: أنهم لم يسألوا الله سبحانه وتعالى وإنما طلبوا من خزنة جهنم أن يدعوا لهم. لأن الله قال لهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}. [المؤمنون: ١٠٨]. فرأوا أنفسهم أنهم ليسوا أهلاً لأن يسألوا الله ويدعوه بأنفسهم بل لا يدعونه إلا بواسطة.

ثانياً: أنهم قالوا: {ادعوا ربكم} ولم يقولوا: ادعوا ربنا، لأن وجوههم وقلوبهم لا تستطيع أن تتحدث أو أن تتكلم بإضافة ربوبية الله لهم أي بأن يقولوا ربنا، عندهم من العار والخزي ما يرون أنهم ليسوا أهلاً لأن تضاف ربوبية الله إليهم بل قالوا {ربكم}.

ثالثاً: لم يقولوا يرفع عنا العذاب بل قالوا: {يخفف} لأنهم آيسون نعوذ بالله، آيسون من أن يرفع عنهم.

رابعاً: أنهم لم يقولوا يخفف عنا العذاب دائماً، بل قالوا {يوماً من العذاب} يوماً واحداً، بهذا يتبين ما هم عليه من العذاب والهوان والذل {وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي} [الشورى: ٤٥]. أعاذنا الله منها.

سورة النبأ ٣١-٣٦

{ (إن للمتقين مفازا (٣١) حدائق وأعنابا (٣٢) وكواعب أترابا (٣٣) وكأسا دهاقا (٣٤) لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا (٣٥) جزاء من ربك عطاء حسابا (٣٦) }.

ذكر الله عز وجل ما للمتقين من النعيم بعد قوله: {إن جهنم كانت مرصاداً }. لأن القرآن مثاني إذا ذكر فيه العقاب ذكر فيه الثواب، وإذا ذكر الثواب ذكر العقاب، وإذا ذكر أهل الخير ذكر أهل الشر، حتى يكون سير الإنسان إلى ربه بين الخوف والرجاء؛ لأنه إن غلب عليه الرجاء وقع في الأمن من مكر الله، وإن غلب عليه الخوف وقع في القنوط من رحمة الله، وكلاهما من كبائر الذنوب، كلاهما شر، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «ينبغي أن يكون الإنسان في عبادته لربه بين الخوف والرجاء، فأيهما غلب هلك صاحبه».

{إن للمتقين مفازاً} المتقون هم الذين اتقوا عقاب الله، وذلك بفعل أوامر الله واجتناب نواهيه،

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (المتقون هم الذين يحذرون من الله وعقوبته)

وقال طلق بن حبيب: (التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ((اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)) (تقوى الله أن يُطاع فلا يُعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر(.

وعرّف علي بن أبي طالب رضي الله عنه التقوى فقال: هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

قال أبو هريرة رضي الله عنه وسئل عن التقوى فقال : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟قال : نعم ، قال : فكيف صنعت؟ قال : إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه ، قال : ذاك التقوى .

وأخذ أحدهم هذا المعنى فقال :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقي

واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

التقوى ثوابها الجنة :(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران:١٣٣) (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ(٣٠))جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ) (النحل:٣١) (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ)(الشعراء:٩٠)

(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) (القلم:٣٤) (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) (قّ:٣١)

(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىً وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) (محمد:١٥)

(وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) (الزمر:٧٣) .

{حدائق وأعنابا} هذا نوع المفاز، **{حدائق}** جمع حديقة أي بساتين أشجارها عظيمة وكثيرة ومنوعة. **{وأعناباً}** الأعناب جمع عنب وهي من جملة الحدائق لكنه خصها بالذكر لشرفها .

{وكواعب أترابا} الكواعب جمع كاعب وهي التي تبين ثديها ولم يتدل، بل برز وظهر كالكعبلأنهن أبكار ، وهذا أكمل ما يكون في جمال الصدر. **{وأتراباً}** أي على سن واحدة لا تختلف إحداهن عن الأخرى كبراً كما في نساء الدنيا،

{وكأساً دهاقاً} أي كأساً ممتلئة، والمراد بالكأس هنا كأس الخمر

{لا يسمعون فيها لغواً} لا يسمعون في الجنة لغواً أي كلاماً باطلاً لا خير فيه. {ولا كذاباً} أي ولا كذباً فلا يكذبون، ولا يكذب بعضهم بعضاً، لأنهم على سرر متقابلين قد نزع الله ما في صدورهم من غل وجعلهم أخواناً.

{جزاء من ربك عطاء} أي أنهم يجزون بهذا جزاء من الله سبحانه وتعالى على أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا واتقوا بها محارم الله.

{حساباً} أي كافياً، مأخوذة من الحسب وهو الكفاية أي أن هذا الكأس كأس كافٍ لا يحتاجون معه إلى غيره لكمال لذته وتمام منفعته.

{ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)}.

أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربهم (**رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**) الذي خلقها ودبرها

(**الرَّحْمَنِ**) الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم، ولطف بهم، حتى أدركوا ما أدركوا و(الرحمن) : اسم من أسماء الله الخاصة به ، ومعناه ذو الرحمة الواسعة لأن وزن فعلان : يدل على الامتلاء والكثرة وهو أخص أسماء الله بعد لفظ الجلالة ، كما أن صفة الرحمة هي أخص صفاته ولذا غالبا يأتي ترتيبها بعد لفظ الجلالة كما في قوله تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن .. الآية)

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) .

فربكم أرحم الراحمين ، كتب على نفسه الرحمة ، ورحمته سبقت وغلبت غضبه ، فهو ذو رحمة واسعة وسعت كل شيء وعمت كل حي .

قال تبارك وتعالى : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) ، وقال تعالى : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها . وأخّر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة)

وفي رواية : (حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه) .

في صحيح البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قُدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي ، فإذا امرأة من السبي قد تحلّب ثديها تسعى . تبحث عن صبي لها فقدته . إذ وجدت صبيها فأخذته فألصقته ببطنها ، وأرضعته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟) فقالوا : لا والله ، وهي تقدر على أن لا تطرحه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (للهُ أرحم بعباده من هذه بولدها)

ومما اشتمل عليه شرعه من الرحمة أنه فتح باب التوبة للمذنبين ، فإنه جل جلاله (يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل) كما في صحيح مسلم ، بل إنه (يفرح بتوبة العبد أشد من فرح رجل وجد راحلته بعد أن أضلها بأرض فلاة) كما في صحيحي البخاري ومسلم .

وجعل (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)

بل وعد الله التائبين بأن تبدل سيئاتهم حسنات كما في قوله تعالى " إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً " الآية قال رسول الله : ((إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِر، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لا أَرَاهَا هَا هُنَا))، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. رواه مسلم

وقوله: {لا يملكون منه خطاباً} يعني أن الناس لا يملكون الخطاب من الله، ولا يستطيع أحد أن يتكلم إلا بإذن الله، وذلك {يوم يقوم الروح} وهو جبريل {والملائكة صفًّا} أي صفوفاً. صفًّا بعد صف، لأنه كما جاء في الحديث: «تنزل ملائكة السماء الدنيا فتحيط بالخلق، ثم ملائكة السماء الثانية

من وراءهم، ثم الثالثة والرابعة والخامسة»(٢٤) وهكذا.. صفوفاً لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم سبحانه وتعالى.

{لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً} أي لا يتكلمون ملائكة ولا غيرهم كما قال تعالى: {وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً} [طه: ١٠٨]. **{إلا من أذن له الرحمن}** بالكلام فإنه يتكلم كما أُذن له. {وقال صواباً} أي قال قولاً صواباً موافقاً لمرضات الله سبحانه وتعالى وذلك بالشفاعة إذا أذن الله لأحد أن يشفع شفع فيما أذن له فيه على حسب ما أُذن له.

{ذلك اليوم الحق} أي ذلك الذي أخبرناكم عنه هو اليوم الحق، والحق ضد الباطل أي الثابت الذي يقوم فيه الحق، ويقوم فيه العدل يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

{فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً} أي من شاء عمل عملاً يؤوب به إلى الله ويرجع به إلى الله، وذلك العمل الصالح الموافق لمرضاة الله تعالى.

{إنا أنذرناكم عذاباً قريباً} أي خوفناكم من عذاب قريب وهو يوم القيامة. ويوم القيامة قريب، ولو بقيت الدنيا ملايين السنين فإنه قريب {كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها} [النازعات: ٤٦]. فهذا العذاب الذي أنذرنا الله قريب، ليس بين الإنسان وبينه إلا أن يموت، والإنسان لا يدري متى يموت قد يصبح ولا يمسي، أو يمسي ولا يصبح، ولهذا كان علينا أن نحزم في أعمالنا، وأن نستغل الفرصة قبل فوات الأوان.

{يوم ينظر المرء ما قدمت يداه} المرء: أي كل امرئ ينظر ما قدمت يداه ويكون بين يديه ويعطى كتابه، ويقال: {اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً} ويقول الكافر من شدة ما يرى من الهول وما يشاهده من العذاب: **{يا ليتني كنت تراباً}** أي ليتني لم أخلق، أو ليتني لم أبعث، أو إذا رأى البهائم التي يقضي الله بينها ثم يقول كوني تراباً فتكون تراباً يتمنى أن يكون مثل البهائم فقوله: {كنت تراباً} تحتمل ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: يا ليتني كنت تراباً فلم أُخلق، لأن الإنسان خُلق من تراب.

المعنى الثاني: ياليتني كنت ترابًا فلم أُبعث، يعني كنت ترابًا في أجواف القبور.

المعنى الثالث: أنه إذا رأى البهائم التي قضى الله بينها وقال لها كوني تراباً فكانت تراباً قال: ليتني كنت تراباً أي كما كانت هذه البهائم. والله أعلم ..

﴿ والنازعات غرقا (١) والناشطات نشطا (٢) والسابحات سبحا (٣) فالسابقات سبقا (٤) فالمدبرات أمرا (٥) يوم ترجف الراجفة (٦) تتبعها الرادفة (٧) قلوب يومئذ واجفة (٨) أبصارها خاشعة (٩) يقولون أئنا لمردودون في الحافرة (١٠) أئذا كنا عظاما نخرة (١١) قالوا تلك إذا كرة خاسرة (١٢) فإنما هي زجرة واحدة (١٣) فإذا هم بالساهرة (١٤) ﴾.

سميت هذه السورة الكريمة بالنازعات ؛ لورود هذا اللفظ في مستهلها ، ومقاصد هذه السورة قريبة من مقاصد سورة النبأ

(**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً**) هم الملائكة الذين يخرجون أرواح الكفار بشدة، ويغرقون في أجسادهم؛ لإخراجها؛ لأن الكافر إذا جاءه الموت وبشر بعذاب الله –جل وعلا – تفرقت روحه في جسده، كما صح ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في حديث البراء بن عازب، فإذا تفرقت هذه الروح في الجسد غاصت عليها الملائكة لتخرجها من أقاصي جسده، وتخرج هذه الروح بقوة وعنف.

ولهذا ثبت في حديث البراء بن عازب –رضي الله عنه – أنها تخرج كما يخرج السفود من الصوف المبلول، والسفود هو الحديدة التي يشوى عليها.

﴿ **وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا** ﴾ الملائكة الذين ينشطون أرواح المؤمنين نشطًا فيخرجونها بسرعة وخفة، وهذا كما ثبت عن النبي –صلى الله عليه وسلم – في حديث البراء « فإنه عليه الصلاة والسلام ذكر: بأن العبد المؤمن إذا حضره الموت (إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة –وفي رواية: المطمئنة– اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان)، قال: (فتخرج تسيل كما تسيل

القطرة من في السقاء) القطرة في الإناء كأس من الزجاج إذا أملته وفيه قطرة كيف تنزلق على جدران الإناء؟ هكذا تخرج روح المؤمن من جسده، (فيأخذها حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك في السماء) آلاف الملايين من الملائكة تصلي على المؤمن عند خروج روحه، يعني: تدعو له، (وفتحت له أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم، فإذا أخذها لم يدَعُوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها) أي: ملائكة الرحمة، (فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، فذلك قوله تعالى: تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ[سورة الأنعام: ٦١] ،

فإن الحديث عن الموت وسكرته، والاحتضار وشدته، لممّا يبعث في النفس الرغبة في التوبة، والعزيمة على الاستعداد للقاء الله تعالى، وقد كان الحديث في الخطبة الماضية أيها الإخوة: عن لحظة خروجِ الروحِ، وما يكون في ذلك من الهول، إذا التفت الساق بالساق، إذا التقت الشدة على الشدة، ونزلت على هذا المحتضر، والتفّت ساقاه بعد ذلك بالكفن ولفت، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ[سورة القيامة٣٠] . في ذلك الوقت تكون البشرى بالخير للمؤمنين، والبشرى بالشر للكفرة والفجار، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)، قالت عائشة: إنا لنكره الموت؟ قال: (ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه) مما سيقدم عليه، (فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه)، في هذا الحديث الصحيح بيان معنى: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) .

حال الملائكة مع المؤمنين حال خروج أرواحهم فكما قال الله تعالى في " سورة فصلت ": ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾١٠ .

فهي تبشرهم مما أمامهم ، وإذا بشرتهم بما أمامهم أحبوا لقاء الله –جل وعلا – فأحب الله لقاءهم ، كما ثبت ذلك عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ، ثم تطمئنهم الملائكة ألا تخافوا يعني مما أمامكم؛ لأن الله –جل وعلا– قد قضى للمؤمنين بالأمن يوم القيامة: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾١١ وقال –جل وعلا–: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾١٢ .

وكذلك تطمئنهم الملائكة ألا يحزنوا على ما تركوه وراءهم؛ لأن ما أمامهم عند الله – جل وعلا– من النعيم خير من ذلك.

وقوله: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾١٣ يعني: أن الله –جل وعلا– يجعل الملائكة أولياء للمؤمنين في الدنيا ، يسددونهم ويهدونهم إلى طرق الخير ، وفي الآخرة يهدونهم إلى جنات النعيم ،

﴿ **وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا** ﴾ يسبحون بين السماء والأرض ، ينقلون أمر الله –جل وعلا– إلى خلقه ، كما تسبح الطير في الهواء.

﴿ **فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا** ﴾ أي أن الملائكة قد سبقوا إلى الطاعة والإيمان ، وهم أيضا يسرعون ويسابقون إلى طاعة الله تعالى وامتثال أمره.

كما قال الله –جل وعلا– في الأنبياء في " سورة الأنبياء ": ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾وقال –جل وعلا– مبينا امتثالهم لأمره –سبحانه وتعالى–: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

﴿ **فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا** ﴾ لأنهم يدبرون الأمر من السماء إلى الأرض بإذن الله، يدبرون أو يأتون من عند الله –جل وعلا– بآياته الشرعية إلى الأنبياء والمرسلين، ويدبرون هذا الكون بما أمرهم الله –جل وعلا– به من آياته الكونية، فكل ملك من هؤلاء الملائكة قد أوكل الله –جل وعلا– إليه أمرا.

وقال –جل وعلا– في " سورة القدر ": ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾٢٥ يعني: أن الملائكة تنزل ليلة القدر بكل أمر سلام من عند الله –جل وعلا– في الليلة المباركة التي يقدر الله –جل وعلا– فيها آجال الخلق وأرزاقهم وأعمارهم وما يكون في العام

﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ** ﴾هذا بيان للحال التي تكون آخر الدنيا من حصول نفختين: نفخة الصعق والفزع، يأمر الله –جل وعلا– إسرافيل فينفخ في الصور؛ فيفزع من في السماوات والأرض ويصعقون ، ثم يأمر –جل وعلا– إسرافيل بعد موت الخلائق بالنفخة الأولى ، أن ينفخ في الصور مرة أخرى للقيام لرب العالمين والبعث والنشور

﴿ **تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ** ﴾ يعني: تتبعها النفخة الأخرى وهي نفخة الصعق ، وسميت رادفة لأنها تردف الأولى ، ، فهاتان النفختان تكون الثانية تابعة للأولى وتالية لها ، وقد سبق لنا في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– « أن بينهما أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين سنة »

﴿ **قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ** ﴾ يعني: أن القلوب يصيبها الخوف والهلع والقلق من شدة ما ترى من أهوال يوم القيامة ، ولهذا من شدة هذه الأهوال؛ تبلغ القلوب الحناجر فلا تخرج ولا تدخل، ولا يستطيع أهلها أن يتكلموا ، كما قال الله –جل وعلا–: ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ

كَاظِمِينَ ﴾ وقوله ﴿ كَاظِمِينَ ﴾ يعني: أنهم مكروهون ممتلئون خوفا وهما وحزنا؛ ونتيجة ذلك: أنهم لا يستطيعون الكلام.

﴿ **أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ** ﴾ يعني: أن أبصار أهل هذه القلوب خاشعة ، يعني: ذليلة حقيرة ، وهذه أبصار الذين كفروا بالله -جل وعلا- وكفروا بالبعث والنشور؛ لأن هذه الآية أو سياق هذه الآيات وارد في شأنهم كما قال الله -جل وعلا- في" سورة القمر ": ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴾

﴿ **يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ** ﴾ يعني: أن الكفار ينكرون البعث والنشور ويستبعدون وقوعه ، وقوله في هذه الآية: ﴿ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ فسرها بعض العلماء بأنها الحفرة وهي القبر ، ومعنى الآية: أئنا لمردودون في قبورنا أحياء بعد موتنا.

في هذه الآية بلاغة القرآن العظيمة فالكلام ينتقل من تصوير حال الناس يوم القيامة إلى أقوال الكفار في الحياة الدنيا.

﴿ **أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً** ﴾ يعني: إذا كنا عظاما بالية يدخل فيها الهواء

﴿ **فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ** ﴾ أى: ليس الحال والأمر إلا أن تكون زجرة واحدة ، وهى النفخ في الصور للبعث يكون مرة واحدة وليس مرتين ولا أكثر من ذلك ، وإنما هو مرة واحدة: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ أى: إذا هم على وجه الأرض مبعوثون لرب العالمين، سُميت ساهرةً؛ لأن عليها سهر الناسِ ونومهم

العلاقة بين الملائكة وبين عباد الله المؤمنين وثيقة، فالملائكة تحبّ المؤمنين، في الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول صلى الله عليه وسلم: ((إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا

فأحبّه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)).

والملائكة تصلي علينا، {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الأحزاب:٤٣]، وصلاتها بمعنى الدعاء للناس والاستغفار لهم، فصح عند الترمذي أنها تصلي على معلم الناس الخير، وهي تصلي على المبكرين للمساجد المنتظرين للجماعة كما في مسلم وتقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه.

وروى أبو داود في سننه وصححه الألباني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من رجل يعود مريضًا ممسيًا إلا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة، ومن أتاه مصبحًا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة)).

الملائكة تبحث عن مجالس العلم وتشهدها، في صحيح البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن لله تبارك وتعالى ملائكة يطوفون الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفوهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم -عز وجل-، وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشَدَّ لك عبادةً، وأشَدَّ لك تمجيداً، وأكثرَ لك تسبيحاً.

قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشَدَّ عليها حرصاً، وأشدّ لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: فيقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: فيقولون:

لا والله يا رب ما رأوها، قال: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد منها مخافة. قال: فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم.

قال: يقول ملَك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم".

الملائكة الكرام تحضر يوم الجمعة وخطبتها، في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد، يكتبون الأول فالأول، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم، وجلسوا يستمعون الذكر))، فيالله كم من سابق قد كتب في أول صحفهم، هنيئًا له والله، وكم من المحرومين التي تطوى الصحف كثيرًا ولم يدركوها بتأخرهم وتباطئهم.

والملائكة تحبّ القرآن وسماعه، ومنهم من يتنزل من السماء حين يقرأ القرآن، في صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال: قرأ رجل سورة الكهف وفي الدار دابة، فجعلت تنفر، فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته، قال فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((اقرأ القرآن، فإنها السكينة تنزلت عند القرآن)).

سورة النازعات ١٥–

{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الآية الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى}. }.

﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى** ﴾ هذا شروع في بيان قصة موسى مع فرعون ، وهذا من باب التسلية لنبينا –صلى الله عليه وسلم– وتثبيت قلبه على ما يلقاه من أذى المشركين؛ ولهذا كان غالب قصص الأنبياء مع أقوامهم إنما تقع في السور المكية

قال الله –جل وعلا– بعد أن ذكر قصصا لبعض أنبيائه مع قومهم: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿هَلْ﴾ استفهام يراد به التشويق ولفت الانتباه بطرح سؤال ليكون القلب متشوقاً لما سيأتي من الكلام

تعد قصة موسى وهارون عليهما السلام وما حدث بينهما وبين فرعون وبين قومهما من بني إسرائيل تعدُّ على رأس القصص التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم؛ حيث ورد الحديث عنها في أكثر من عشرين سورة، تارة بصورة مفصلة، كما هو الحال في سور (البقرة)، و(الأعراف)، و(طه)، و(الشعراء)، و(القصص). وأخرى بصورة مختصرة، كما هو الحال في سور (الروم)، و(الدخان)، و(النازعات) وغيرها.

لما فيها من العبر والفوائد التي تجعل المتأمل والمتدبر فيها يعلم عظمة القرآن، وبلاغة الإعجاز فيه؛ بالإضافة إلى ما فيه من بيان الحق، وإزهاق الباطل، و لما لاقاه من بني إسرائيل وصبره عليهم ليتأسى به النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندما يشتد به الأذى، يقول: (رحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر) متفق عليه.

مختصر القصة

كان موسى عليه السلام واحداً من بني إسرائيل؛ إذ ينتهي نسبه إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقد أرسله سبحانه إلى فرعون وقومه؛ ليدعوهم إلى إخلاص العبادة لله تعالى؛ ولينقذ بني إسرائيل من ظلم فرعون وملئه؛ حيث كانوا يذبحون الأبناء، ويستحيون النساء. وبقي يكرر الدعوة

لفرعون وقومه، وينهاهم عن ظلم الناس، لكن من غير فائدة. وكانت نتيجة إصرار فرعون على الكفر والجحود والعناد أن أغرقه الله وقومه، وجعله عبره لمن بعده من الجبابرة.

في سورة القصص أكثر من أربعين آية تحدثت عن الظروف التي ولد خلالها موسى، وعما فعلته أمه بعد مولده، وعن حاله بعد أن بلغ أشده واستوى، وعن هجرته إلى أرض مدين، وعن تشريفه بالنوبة وهو في طريقه من أرض مدين إلى مصر، وعن دعوته فرعون وقومه، إلى إخلاص العبادة لله الواحد القهار.

ولادة موسى وتربيته

وُجد موسى عليه السلام في ظرف كان فيها فرعون مصر قد تمادى في غيه، وعلا في الأرض عتواً وفساداً، وأنزل الخسف بطائفة من رعاياه، هم بنو إسرائيل؛ إذ عاشوا في ظلاله عيشة البلاء، وبينما هم في نكد من العيش، إذ تقدم كاهن من فرعون، وقال له: يولد مولود في بني إسرائيل، يذهب ملكك بيده! فثارت ثائرة فرعون واشتط غضباً، وأخذ يذبِّح الأبناء، ويستبقي النساء أحياء.

قال الله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ، فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ، وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}.

كانت أم موسى في تلك الأثناء تجلس في بيتها قلقة خائفة، وهي على وشك أن تضع مولودها، فلما جاءها المخاض، دعت قابلة لتدبر أمر الولادة، فلما وضعت أم موسى حملها، كتمت أمره عن الناس؛ مخافة أن يصيبه ما يُصيب أمثاله من قاتل الأطفال. ثم ألهمها الله أن تضع وليدها في صندوق، وتلقي به في نيل مصر، مسلِّمة أمرها إلى الله، عسى أن يقع في يد بعيدة تحفظه مما يراد به.

رد موسى الى امه

قال الله تعالى: **{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ، فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}**.

قال ابن عباس اصبح فؤاد أم موسى فارغاً من كل شيء من أمور الدنيا، إلا من موسى حتى كادت أن تظهر أمره وتسأل عنه جهرة لولا أن صبرها وثبتها الله تعالى ، و قالت لأخته وهي ابنتها الكبيرة اتبعي أثره واطلبي لي خبره

وذلك لأن موسى عليه السلام لما استقر بدار فرعون أرادوا أن يغذوه برضاعة، فلم يقبل ثدياً ولا أخذ طعاماً، فحاروا في أمره واجتهدوا على تغذيته بكل ممكن فلم يفعل. كما قال تعالى {وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ} فأرسلوه مع القوابل والنساء إلى السوق لعلهم يجدون من يوافق رضاعته، فبينما هم وقوف به والناس عكوف عليه إذ بصرت به أخته فلم تظهر أنها تعرفه بل قالت: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ}.

فذهبوا معها إلى منزلهم، فأخذته أمه، فلما أرضعته التقم ثديها، وأخذ يمتصه ويرتضعه، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشير إلى آسية يعلمها بذلك، فاستدعتها إلى منزلها وعرضت عليها أن تكون عندها، وان تحسن إليها فأبت عليها، وقالت إن لي بعلاً وأولاداً، ولست أقدر على هذا، إلا أن ترسليه معي، فأرسلته معها وجعلت لها راتب، وأجرت عليها النفقات والكساوي والهبات، فرجعت به، وقد جمع الله شمله بشملها.

{فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}

أتمت أم موسى رضاع وليدها، ثم أسلمته إلى القصر الفرعوني، وهناك كبر وأصبح ذا شأن في البلاط، وعندما بلغ موسى تمام الأربعين، أوحى الله إليه بالرسالة، وأمره أن يبلغها إلى فرعون وقومه، واتجهت أنظار المغلوبين والمظلومين إليه؛ ليحميهم مما أثقل كاهلهم من الظلم والآلام.

سبب خروجه موسى من مصر

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ}.

دخل موسى المدينة فوجد فيها رجلان يتضاربان ويتهاوشان أحدهما من شيعنه أي إسرائيلي و الآخر من عدوه أي قبطي.

{فَإسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ}

وذلك لأن موسى عليه السلام كانت له بديار مصر صولة بسبب نسبته إلى تبني فرعون له وتربيته في بيته وكانت بنو إسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاهة وارتفعت رؤوسهم بسبب أنهم أرضعوه وهم أخواله أي من الرضاعة فلما استغاث ذلك الإسرائيلي موسى عليه السلام على ذلك القبطي أقبل إليه موسى {فَوَكَزَهُ}. أي طعنة بجمع كفه. وقيل : بعصا كانت معه {فَقَضَى عَلَيْهِ} أي فمات منها.

ولم يرد موسى قتله بالكلية وإنما أزاد زجره وردعه

{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً

بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْمُصْلِحِينَ، وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ، فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

توجه موسى الى مدين

{ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قال رَبِّ نَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}.

يخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله وكليمه من مصر خائفاً يترقب أي يتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري أين يتوجه، ولا إلى أين يذهب، وذلك لأنه لم يخرج من مصر قبلها. حتى وصل مدين وكانت بئراً يستقون منها. فوجد الرعاء يسقون منها و وجد أمرأتين أي تكفكفان عنهما غنمهما أن تختلط بغنم الناس.

فسألهما عن حالهما قالتا : لا نقدر على ورود الماء إلا بعد صدور الرعاء لضعفنا وسبب مباشرتنا هذه الرعية ضعف أبينا وكبره قال الله تعالى {فَسَقَى لَهُمَا}.

قال المفسرون: أن الرعاء كانوا إذا فرغوا من وردهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة فتجيء هاتان المرأتان فيشرعان غنمهما في فضل أغنام الناس، فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده. ثم استقى لهما وسقى غنمهما ثم رد الحجر. كما كان. قال أمير المؤمنين عمر وكان لا يرفعه إلا عشرة وإنما استقى ذنوباً واحدا فكفاهما.

ثم تولى إلى الظل. قالوا: وكان ظل شجرة من السمر. أنه رآها خضراء ترف {فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}.

فسمعته المرأتان فيما قيل فذهبتا إلى أبيهما فيقال إنه استنكر سرعة رجوعهما؛ فأخبرتاه بما كان من أمر موسى عليه السلام، فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه

{فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ، قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ، قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ}.

فلما جاءه موسى أضافه واكرم مثواه وقص عليه ما كان أمره بشره بأنه قد نجا، فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها {يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} أي لرعي غنمك، ثم مدحته بأنه قوي أمين.

قال عمر وابن عباس : لما قالت ذلك قال لها أبوها وما علمك بهذا؟ فقالت إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة. وأنه لما جئت معه تقدمت أمامه فقال كوني من ورائي فإذا اختلف الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى

{إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى} ناداه الله عز وجل نداءً سمعه بصوت الله عز وجل، قال تعالى: {وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًّا} [مريم: ٥٢]. وقوله: **{بالواد المقدس}** هو الطور، والوادي هو مجرى الماء، وسماه الله مقدساً لأنه كان فيه الوحي إلى موسى عليه الصلاة والسلام. وقوله: {طوى} اسم للوادي.

فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ

و كان ذلك في ليلة مظلمة باردة وتاهوا في طريقهم فلم يهتدوا إلى السلوك في الدرب المألوف، واشتد الظلام والبرد. فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بعد ناراً تأجّج في جانب الطّور

يقول الله تعالى: **وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النار هدى** [طه:٩-١٠]. ثم كانت المفاجأة التي لم يكن ينتظرها، **فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري** [طه:١٤].

ثم يتحدث الله بعد ذلك مع موسى حديثاً شيقاً، حديث الأنس واللطف؛ ليزيل الدهشة عنه، وليطرد الرعب عن نفسه، لأنه موقف صعب، لا يتحمله أي إنسان، تصور أنك تكلم الله تعالى، وتستمع إلى خطاب ملك الملوك، موسى كاد يطير قلبه من بين جوانحه، فألقى الله عليه خطاب المؤانسة والملاطفة، حتى لا يستوحش،

فيقول الله لموسى عليه السلام: **وما تلك بيمينك يا موسى** [طه:١٧]. ليلاطفه، وليؤانسه.**قال هي عصاي أتوكّأ عليها وأهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى** [طه:١٨]. قال ابن عباس : رحم الله موسى، إنما كان يكفيه أن يقول عصاً، ولكن ارتاح لخطاب ربه فزاد في الكلام

قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حيةٌ تسعى [طه:١٩-٢٠ ففر موسى خائفاً، وتصور موسى وهو يفر خائفاً من رب العلمين، فيطمئنه ربه، ويهدئه **قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى** [طه:٢١]. فعاد فأخذها، فإذا هي عصا.

واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء [طه:٢٢].

فهذه آية أخرى من آيات الله عز وجل، أدخل يدك يا موسى في إبطك، ثم أخرجها، تخرج بيضاء من غير برص ولا بهق

ثم بدأ التكليف بالدعوة، بدأت الرحلة الشاقة المضنية **اذهب إلى فرعون إنه طغى** [طه:٢٤]. وتصور موسى عليه السلام وهو يستمع إلى هذا الأمر الإلهي، لقد فرّ موسى من فرعون، لأنه تمرد عليه، وقتل شخصاً من رعيته، وقد حكم عليه فرعون بالإعدام غيابياً، ثم يأتي الأمر الإلهي: اذهب إلى فرعون إنه طغى [طه:٢٤]. لم يقل له اذهب إلى حاشية فرعون، أو جنود فرعون، أو أرسل إليه رسالة، وإنما أمره بالتوجه مباشرة إلى هذا المجرم الطاغية اذهب إلى فرعون لماذا؟ إنه طغى.

فماذا طلب موسى من ربه؟ **قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي** [طه:٢٥-٢٨].

فموسى عليه السلام ما كان يبين في حديثه، بل كان يأكل بعض الحروف إذا تكلم، فليس في استطاعته أن يبلغ الدعوة، وسوف يضحك عليه هذا المجرم العُتُل، وقد فعل ذلك بالفعل، حيث عقد مقارنة بينه وبين موسى عليه السلام، وفضل نفسه على نبي من أنبياء الله، ورسول من أولي العزم، **قال في سورة**

الزخرف: أليس لي ملكُ مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين [الزخرف:٥١-٥٢].

وطلب موسى من ربه أيضاً نصيراً، ومعاوناً له على تلك المواقف الصعبة **واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي** [طه:٢٩-٣٠]. وعلل لذلك بقوله: **اشدد به أزري وأشركه في أمري** [طه:٣١-٣٢]. فإن الواجبات كثيرة، وإن التبعات جسيمة، فأريد أخي ليكون على ميمنتي فيقويني ويثبتني عند ذاك الطاغية الجبار **كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيرا** [طه:٣٣-٣٤]. فالاثنان يسبحان ويذكران أكثر من الواحد، والأخ الصالح يذكر أخاه إذا نسى، ويقويه إذا فتر. **إنك كنت بنا بصيراً** [طه:٣٥]. فأنت الذي أرسلتنا، وتعلم ضعفنا، فأعنا على تلك المهمة الصعبة، وكن معنا بالتأييد والنصرة.ثم كان الجواب من الله الواحد الأحد: **قال قد أوتيت سؤلك يا موسى**

ثم ذكره الله عز وجل بتاريخه وماضيه، وإنعامه عليه في كل وقت، أعاد عليه ذكريات الطفولة والصبا **ولقد مننّا عليك مرة أخرى إذا أوحينا إلى أمّك ما يوحى أن أقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليمّ بالساحل يأخذه عدوّ لي وعدوّ له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني** [طه:٣٧-٣٩].

فى حديث مسلم عن صهيب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال (**اذا دخل اهل الجنه الجنه يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا ،ألم تدخلنا الجنه وتنجينا من النار ، فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئاَ أحب إليهم من النظر الى ربهم، ثم تلا هذه الاية (الذين أحسنوا الحسنى وزيادة)....**

ولذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوا ربه فى حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه عند احمد فى مسنده (٢٦٤/٤)وصححه الالبانى فى صحيح الجامع ان النبى كان يدعو فى صلاته فيقول (...**وأسالك لذة النظر إلى وجهك الكريم وأسألك الشوق إلى لقائك**....) فالرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ان يعطيه هذه اللذه وذاك النعيم العظيم لما لا !! والنبى صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بهذا الفضل، وبهذه اللذه، ولذا يقول ابن القيم...(إذا عرف هذا فأعظم نعيم الاخرة ولذاتها هو النظر الى وجه الرب جل جلاله وسماع كلامه منه والقرب منه كما ثبت فى الصحيح فى حديث الرؤيه) ا.هـ الداء والدواءصـ٢٨٣-٢٨٤

{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الآية الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى}. }.

[اذهب إلى فرعون إنه طغى] أي اذهب إلى فرعون الطاغية الجبار ، الذي تجاوز الحد في الظلم والطغيان . بل طغيانه تجاوز وتعدى حتى قال كما أخبر الله –جل وعلا– في هذه الآية فقال:﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ و قال:﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ففرعون طغى وتجاوز الحد وادعى الربوبية والألوهية من دون الله –جل وعلا– .وهذا الادعاء هو كاذب فيه وليس بصادق؛ لأنه يوقن يقينا جازما أن هناك ربا للخلائق هو المستحق للعبادة ، وقد أخبر الله –جل وعلا– عنه في" سورة النمل " في قوله –جل وعلا–: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾.

وقال –جل وعلا– في" آخر الإسراء " أن موسى –عليه السلام– قال له: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾

[فقل هل لك إلى أن تزكى] أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به ، أي تسلم وتطيع . موسى –عليه السلام– ما قال لفرعون: تزكى ، بل قال له: ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾٨٨ يعني: أعرض عليك الزكاة والتزكي و هذا فيه من اللطف في الخطاب استجابة لأمر الله {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: ٤٣–٤٤

[وأهديك إلى ربك فتخشى] أي أدلك إلى عبادة ربك . **[فتخشى]** فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير .

قال ابن القيم : (وتأمل امتثال موسى لما أمر به كيف قال لفرعون [هل لك إلى أن تزكى . وأهديك إلى ربك فتخشى] فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض لا مخرج الأمر ، وقال تعالى [إلى أن تزكى] ولم يقل : إلى أن أزكيك ، فنسب الفعل إليه هو ، وذكر لفظ التزكي دون غيره لما فيه من البركة والخير والتمام) .

دخل موسى عليه، ووقف هارون بجانبه، موسى يتكلم، وهارون يثبت ويساعد، والمجرم ينظر إليهما بعلو وعتو وجبروت، لأنه صور نفسه أنه ربٌّ، وأنه صانع، أنكر توحيد الربوبية، ١٠٢]، فلما تكلم موسى، ودعاه إلى الله- عزَّ وجلَّ – ضحك فرعون منهما، ضِحْك استهزاء واستهتار؛ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾** الشعراء

{قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى} [طه: ٤٩]، فهو لا يعرف ربّاً ولا يؤمن بإله، فماذا كان جواب موسى: **{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}** [طه: ٥٠]، فإن كنت تستطيع ذلك فأنت رب، وإن كنت لا تستطيع فلست برب، وأنى لك ذلك!

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ

﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ الشعراء

[فأراه الآية الكبرى] يعني : فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلاً واضحاً على صدق ما جاء به من عند الله .

أراه العلامة العظمى ، وهي المعجزة ،: ﴿ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾) .

[فكذب وعصى] فكذب بالحق وعصى الأمر .

[ثم أدبر يسعى] أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى من المعجزات الباهرات .

[فحشر فنادى] أي فجمع السحرة والجنود والأتباع ، وقال لهم :

[فقال أنا ربكم الأعلى] أنا ربكم المعبود المعظم الذي لا رب فوقي .

[فأخذه الله نكال الآخرة والأولى] أي انتقم منه انتقاماً جعله عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين .

قال ابن كثير : (الصحيح الذي لا شك فيه ، أن المراد بـ { نكال الآخرة والأولى } أي في الدنيا والآخرة .

[إن في ذلك لعبرة لمن يخشى] أي : لمن يتعظ وينزجر .

قال السعدي : (فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر) .

{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الآيَة الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى}. }.

[**فكذب وعصى**] فكذب بالحق وعصى الأمر .

[**ثم أدبر يسعى**] أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى من المعجزات الباهرات .

[**فحشر فنادى**] أي فجمع السحرة والجنود والأتباع ، وقال لهم :

﴿ **قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ** ﴾ [الأعراف:١١١-١١٢]

وأخذ فرعون بمشورة ملئه، وقال ﴿ **أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى** ﴾ [طه:٥٧-٥٨].

وكان من إلهام الله تعالى لموسى عليه السلام أن واعدهم في يوم عيدهم حيث اجتماع الناس وكثرتهم؛ لتظهر حجته فيكون ذلك أدعى لإيمان الناس بربهم سبحانه وتعالى، ﴿ **قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى** ﴾ [طه:٥٩].

فاجتهد أعوان فرعون وجنده في حشد أمهر السحرة وأقواهم وأشهرهم، ويبدو أن الدعاية لهذه المبارزة العظيمة قد غطت جميع أنحاء مملكة فرعون، وسرى خبرها في الناس كلهم، ﴿ **فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ** ﴾

[الشعراء:٣٨-٤٠] وفرح السحرة بحاجة فرعون لهم، وانتظروا يوم الزينة بفارغ الصبر، وتطلعوا لجائزته ﴿

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء:٤١-٤٢] وتقدم موسى عليه السلام إلى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه، فقال: **{وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى، فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ}**.

قيل: معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم، فقائل يقول: هذا كلام نبي وليس بساحر، وقائل منهم يقول: بل هو ساحر فالله أعلم. وأسرّوا التناجي بهذا وغيره.

ولكن السَّحرة أجمعوا بعد المشورة على المبارزة، فحالهم حال من يريد الظفر وإرضاء سيده؛ ولذا استعجلوا موسى في بدء المعركة، وقالوا له على سبيل التكبُّر وعدم المبالاة:﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ** ﴾ [الأعراف:١١٥] يا موسى: اختر أحد الأمرين: إمَّا أن تُلقيَ عَصَاك أولاً، وإمَّا أن نكون نحن المُلْقين أدوات سحرنا أولاً..

﴿ **قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون**﴾ قال موسى للسَّحَرة: اطرحوا في ساحة المباراة ما تريدون إلقاءه من السحر، فأنا متحديِّكم وقابل تحدِّيكم،﴿ **فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ** ﴾ [الشعراء:٤٤]. واعتزوا بفرعون، وكان موسى معتزا بالله عز وجل .

﴿ **فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** ﴾ [الأعراف:١١٦]

ومن براعتهم في سحرهم خشي موسى عليه السلام على عامَّة الناس من الفتنة بهم؛ لعظيم ما جاءوا به من السحر، ، ولكن الله تعالى أوحى إليه أن سحرهم سيبطل: ﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** ﴾ [طه:٦٧-٦٩].

قال الله تعالى لموسى: لا تخف من أعمالهم السحريَّة إنك أنت الغالب عليهم، وستكون لك الغلبة والظفر. ﴿ **وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى** ﴾ [طه:٦٧-٦٩]. فتغير مجرى المعركة، وظهر الحق، وتنزل النصر، وانقلبت العصا ثعبانا حقيقيا يبتلع حبال السحرة وعصيهم، وهذا لا يمكن أن يكون سحرا، وإنما آثار قدرة ربانية ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ** ﴾ [الأعراف:١١٧-١١٩]..

في تلك اللحظة أنزل الله تعالى الإيمان والتسليم على قلوب السحرة، فخروا من طولهم لله تعالى سجدا موقنين تائبين مبهورين من قدرته سبحانه وتعالى، وعلموا أن فرعون ليس إلا بشرا ضعيفا مثلهم

{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ، قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ، إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ}.

(قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى ﴿٧٦﴾) طه

قال ابن كثير في تفسيره : والظاهر أن فرعون –لعنه الله–صمم على ذلك وفعله بهم، رحمهم الله؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف: أصبحوا سحرة، وأمسَوْا شهداء.